بسمارك ودوره في رسم السياسة الخارجية الألمانية ١٨٧١ – ١٨٩٠

المدرس المساعد خالد عبدّ نمال الدليمي
الجامعة الإسلامية ـ بغداد
كلية الآداب ـ قسم التاريخ

المقدمة

استمر بسمارك يقبض على جيرانه الحكم ، ويوجه دفه شؤون بلاده ويؤثر على مصائر العالم مدة تسعة عشر عاماً بعد تأسيس الإمبراطورية الألمانية .

وتاقت نفسه بعد الأعمال الجليلة التي أنجزها الى حصر جهوده في وقاية المانيا من التقلبات الداخلية والحروب الخارجية لم يكن له مطمع في تأسيس إمبراطورية استعمارية او التوسع في الشرق وكان من بين القواعد الأساسية لسياسته صداقه بريطانية لبلاده، فقد كان مرهف الإدراك والأخطار التي يطويها الموقف السياسي في القارة الأوربية بين دفيته ، فلم يرغب ان يخاطر بمغامرات جديدة ، فقد اقتنع ان فرنسا لا تنزع الى المصالحة ، وروسيا لا يمكن الركون الى صداقتها ، والنمسا مازالت تحس بسخط على المانيا ، فاضطر الى ان يركز مواهبة الدبلوماسية كلها الى هاتين المشكلتين : وهما : كيف يكون على ود وصداقة مع روسيا من غير اغضاب بريطانيا ومع النمسا من غير ابتعاد روسيا عنه .

وكان عزل فرنسا والسيطرة على اوربا بواسطة جيش الماني قوي والمحافظة على نظام حكمة الاوتوقراطي المبادئ الهادية لسياسته .

بسمارك ودوره في الوحدة الالمانية

أ- وصول بسمارك الى السلطة

ولد اوتوفون بسمارك Otto Von Bismarck في ١ نيسان ١٨١٥م من اسرة بروسية نبيلة في مقاطعة برندتبرج [١] ، وكان والده قائداً في الحرس الملكي البروسي، وامه ابنة المستشار لا تكن وهو من اصحاب الوظائف الدولية المرموقة [٢]، وقد ورث بسمارك عن امه الكياسة وحب الادب والفن . عُرفت عائلة بسمارك وبرزت في المجتمع ، واشتهر رجالها بامتيازهم في الحياة العسكرية، وقد اكمل تعليمه الثانوي في برلين ، ومن ثم درس القانون وعلم السياسة في جامعة جوتنجن وبرلين ، وبعد تخرجه عمل في المحاكم، كما عمل في بعض المناصب القضائية وقضى خدمته العسكرية في بوتسدام قرب برلين[٣] وفي عام ١٨٤٧ حضر اول مجلس نيابي في برلين ، بصفته نائبا عن الاشراف في المجلس النيابي لسكسونيا. لذا فقد اكتسب شهرة خلال هذه الفترة بكونه محافظا يقاوم اي حركات تحررية ، وفي السنة التي تلتها انتخب عضوا في مجلس الولاية ، ثم عضوا في برلمان برلين سنة ١٨٤٨ ، وبعدها ظهر بمظهر المكافح القدير على توطيد نفوذ الملكية ، فأعادته حكومة الملك الى خدمتها[٤] على ان يكون مندوبا عنها في الدايت الألماني الذي كان محور العداء القاتل الذي كانت تضمره النمسا لبروسيا[٥].

فقد كان سياسيا من الطراز الأول وفي اب ١٨٦١ عين مندوبا لبروسيا في مجلس الاتحاد الألماني في فرانكفورت ، بهذا المجلس اكتشف بسمارك حقيقة مفادها بأن استحالة التوفيق بين بروسيا والنمسا وهو ما دعا اليه مراراً وتكراراً، بعدها تقلد مناصب عدة من بينها سفيراً في بطرسبرج من عام ١٨٥٩- حتى عام ١٨٦٢ ، خلال هذه الفترة استطاع ان يوطد أركان الصداقة بين بروسيا وروسيا بقدرة فائقة ، أيضاً عمل سفيراً لبلاده في باريس لبضعة أشهر ، بعد هذا العمل الدؤوب استطاع ان يدرس الوضع الاوربي ، واتقن المهنة السياسية بقدرة فائقة مكنته على مسك زمام الأمور فيما بعد ، هذا هو الشخص الذي ظهر امام البرلمان ، واخذ بيد وليم الأول (williami)(١٨٦١-١٨٨٨)[٦] نفذ مشروع تقوية بروسيا والاتحاد الألماني على يده[٧].

وفي عام ١٨٦٢ تولى بسمارك رئاسة الوزارة البروسية . كان يطلق عليه لقب المستشار ، كان بسمارك طوال سنوات خدمته من المتحمسين للوحدة

الألمانية ، كان ينظر الى السياسية الأوربية دائما من زاوية بروسية دون اهتمام بالمصالح الألمانية العامة ، فالوحدة الألمانية كانت في نظره مجرد امتداد لسطان بروسيا[٨].

أصبح بسمارك يحكم شعبا مطيعا فخوراً به ، تمتع بسمارك بتكريم الامبراطور له بترقيته الى رتبة " الامير " وبالسلطات التي لا تجعله مسؤولاً امام مجلس البرلمان (الريخشتاغ والبندسترات)[٩]. اذ ان سلطاته كانت مستنده الى الإمبراطور وقد استسلم له تقريباً .

لقد كان بسمارك بروتستانيا متغطرسا شديد الاعتداد بنفسه ، قوي البنية خشن الطبع، لاذع النقد، مستعدا ان يقلب الأفكار التي قالها رأساً على عقب حين يعتقد ان في ذلك مصلحة المانيا، او ان الحفاظ على شخصه وسياسته تتطلب ذلك ، وكان يعتقد الى حد الايمان بانه وحده هو الذي على حق ، وانه هو القائد والزعيم ، وغيره من رجالات المانيا اقزام لا يعتد بهم ، كان كثيراً من المواربة والخداع والتحايل ليضرب منافسية ومنتقديه مستخدماً الصحافة والادارة الحكومية المطيعة في يده في هدم خصومه والتنكيل بهم امام الراي العام[١٠].

إذ على الرغم من الصفات التي تحلى بها بسمارك ، الا انه كان دبلوماسي حذقا ، استطاع بقدرته الفذه ان يواجه في اول الامر مشكلة الاعتمادات البرلمانية اللازمة لمشروع اصلاح الجيش البروسي ، تمكن بسمارك بعبقريته ان يكسب عدداً من الانصار من اعضاء المجلس النيابي من المحافظ ومن الاحرار ، بما انه هو من المحافظين المتشددين والمقتنعين بفكرة الملكية المطلقة في بروسيا ، ايضا استطاع بسمارك باتصالاته المتكررة لكسب العديد من الأصدقاء ، وخففت من روح العداء بين البرلمان البروسي والحكومة .

لقد مضى بسمارك يشق طريقه بعزيمة لا تلين ، اول ما عمله قام بتوفير السيولة النقدية الكافية لغرض أصلاح الجيش من ابواب الميزانية المختلفة دون حاجة الى ميزانية جديدة لهذا الغرض ، احتفظ دائما بوجهة نظره بان الجيش في بروسيا امر مقدس يجب الا يخضع لاية سيطرة برلمانية[١١] .

كما يبدو لنا بان الجيش يجب ان يكون مستقلا بعيداً عن تأثير البرلمان ، يكون تحت أدارة القائد بسمارك ، كان مقتنعا بان الخطب الرنانة وقرارات الاغلبية لن تحل المشاكل الكبرى تلك التي يحلها الدم والحديد ثم اخذ بصرف ما شاء لتقوية الجيش واعداده دون ان ينتظر قراراً من المجلس .

كان بسمارك شديد الاستخفاف بالفلاسفة والمفكرين ومن وجه نظره ماذا قدم هؤلاء لالمانيا ؟ هل كان بقدرتهم ان يحققوا الوحدة كما حققها هو . ولهذا كانت قلة قليلة جداً من رجالات الفكر على علاقة ودية مع بسمارك(١٢).

لذا يمكن القول كيف استطاع بسمارك الوصول الى الحكم ؟ بقدرته وحنكته السياسية التي استطاع ان يمسك بزمام الامور ويرتقى الى اعلى المناصب الحكومية استطاع ان يؤثر على الملك وليم الاول ، ويجعله اداة طيعة بيده ، بهذا التأثير استطاع ان يتقلد اعلى المراتب في الدولة وقوته ايضاً اكسبته شهرة عظيمة.

يسمى الالمان الدولة التي تجمع شتاتهم بالرايخ ، ولعله مما يخفى على الكثيرين أنَّ تتويج ملك بروسيا امبراطوراً للرايخ الاول لم يلغ الحقوق الموروثة للممالك والإمارات الألمانية(١٣).

لقد كان النظام الاتحادي الفيدرالي هو النتيجة المنطقية لبقاء الملوك والامراء حكاما في مقاطعاتها ، ويبدو أنَّ واضعي دستور الرايخ الاول تأثروا بالفكرة الفيدرالية الامريكية، اذا قاموا مجلسين مجلس ادنى الرايخشتاغ ويمثل به الوطن الالماني كوحده فيقسم الى دوائر حسب عدد السكان ومجلس اعلى وبوندسرات وتمثل فيه كل مقاطعة على حدة مع هذا الفارق وهو انه روعيت مساحة المقاطعات في البوندسرات بينما تتساوى الولايات في مجلس الشيوخ الامريكي.

وقد ادى هذا الى ترجيح كفة بروسيا في النظام الاتحادي للرايخ الاول وكما هو الحال في اية نظام اتحادي منح مجلس الشيوخ اختصاصات اوسع : المصادقة على المعاهدات وتعيين كبار الموظفين الاتحاديين والفصل في الخلافات بين المقاطعات ، ويتضح من ذلك كيف انه كان للدولة جهاز اداري اتحادي واخر محلي وقد بقيت امتيازات الحكم المحلي من ابرز الانظمة التي لازمت المانيا طوال عهد الرايخ الاولى والثاني ، واستمر في المانيا الغربية حتى الوقت الحاصر مع وجود فترة انقطاع ابان الحكم النازي(١٤).

ب- بسمارك ومشكلة شلزويك وهولشتاين (١٥) :

لقد ظلت مشكلة شلزويك وهولشتاين تتصاعد بين فترة واخرى منذ معاهدة لندن ١٨٥٢، بسبب النزاع حول العرش من جهة واصرار الدنماركين على ضم

شلزويك في مملكة موحدة من جهة اخرى[١٦]، هذه المشكلة التي اتخذها بسمارك ذريعة لاعلان الحرب على النمسا وكان فردريك السابع ملك الدانيمارك يحكم هاتين المقاطعتين الالمانيتين بصفته الخاصة[١٧]، يسكن مقاطعة شلزويك خليط من السكان الالماني والدنماركي ، وبينما هولشتاين كان يغلب العنصر الالماني بها واقلية من الدنماركين ، تقعان في جنوب مملكة الدانيمارك ، ولكن كانتا لا تشكلان جزءاً من الدانيمارك ولكن ارتبطت منذ زمن بعيد بعرش الدانيمارك ولما ظهرت حركة المطالبة بتوحيد المانيا ، ونما عند الالمان شعورهم بالوحدة بدأ الالمان في التفكير في هاتين المقاطعتين وفي سكانهما من الالمان ولا سيما أن معاهدة فينا عام ١٨١٥ قد اعترفت بعضوية هولشتاين في الاتحاد الالماني ، وبدا الالمان في كل الولايات والممالك الالمانية يتحينون ايجاد فرصة لضم هاتين المقاطعتين معا الى الدولة الالمانية الموحدة التي كانوا يأملون في قيامها والتي ستضم بين جنباتها كل ابناء الشعب الالماني[١٨].

وقد قامت العناصر الالمانية الموجودة في هولشتاين وشلزويك بمحاولات عدة لانفصالهم عن الدانيمارك التي كانت آنذاك تفرض سيطرتها عليهما ، وعدم ضمها الى أراضيها ، ومن هذه المحاولات التي قامت عام ١٨٤٨ ، ولكن الدانيمارك تدخلت على اخماد هذه الحركة بالقوة ومنعهما عن الانفصال ، وعلى الرغم من محاولة القضاء على هذه المحاولة ، ولكن اخذت بالتصاعد المستمر والمطالبة بالانفصال وأصبحت مشكلة دائمة على الحدود الجنوبية للملكة ، وعلى اثر هذه المحاولات المستمرة ، وفي عام ١٨٥٢ انعقد مؤتمر في لندن ضم كل من بريطانيا وفرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا ، للنظر في هذه القضية التي أصبحت تشكل عقدة في السياسة الدنماركية والبروسيا والنمساوية وقد سويت المشكلة بمقتضى معاهدة لندن تسوية مقبولة لدى جميع الاطراف[١٩].

ولما تولى الملك كرستيان التاسع عرش الدانيمارك عام ١٨٦٣ ، وعلى اثر اعتلائه العرش أعلن ادماج المقاطعتين بمملكته ، وبهذا الضم كان خروجا صريحا على معاهدة لندن الذي كانت تؤكد على احتفاظ المقاطعتين باستقلالهما الذاتي ، وجد بسمارك في هذه القضية ميدانا لتنفيذ خطته الحربية المخطط لها ضد النمسا .

وفي بداية الامر حاول اقناع النمسا بالاشتراك معه في ارسال انذار الى الدانمارك، يطلبان فيه ان تعدل عن قرارها بادماج المقاطعتين، ولكن جوابه بالرفض ، مما دعى بسمارك اعلان الحرب على الدانيمارك[٢٠].

وفضلاً من ان النمسا لم تكن ترغب في خوض الحرب ، الا انها وجدت نفسها في مركز حرج لا تستطيع فيه ان تتردد خشية ان تتهمها الولايات الالمانية بالتقاعس والتخلي عن مصالح الشعب الالماني . وفي ظل هذه الظروف وتصاعد الحماس لدى النمسا ، اغتنمت بروسيا الفرصة وعقدت المعاهدة بين الطرفين ، وعلى اثر ذلك اعلنت بروسيا ذلك التحالف بينها وبين النمسا ، سوف تنفذان الاتحاد الالماني[٢١]، وقام الجيش البروسي ، والنمساوي بالهجوم والاجتياح للمقاطعتين ثم احتلال هولشتاين وشلزويك في كانون الثاني ١٨٦٤ ، لم يستطيع الجيش الدانيماركي من الصمود امام الجيش البروسي والنمساوي[٢٢].

لقد شنت تلك الحرب برغبة الاتحاد الالماني في اعادة المقاطعتين الى وطنهم الام ، لم يقتصر على هذا السبب في شن الحرب ، انما من اجل تأييد فردريك ارجتنبرج المطالب بعرش الدانيمارك ، وفي حقيقة الامر تناسيت تلك الاسباب ، وانصب تفكيرهما على اقتسام الغنيمة بما يحقق مصالح كل من بروسيا والنمسا فاعترفت في اول الامر بالملك كرستيان التاسع ملكا على الدانيمارك ومقابل ذلك تنازل الملك كرستيان التاسع لبروسيا والنمسا بموجب معاهدة فينا في تشرين الاول ١٨٦٤ عن حقوقه في شلزويك وهولشتاين وايضا عن مقاطعة لاون برج الصغيرة ، وبعد التنازل ايضا تم اتفاق اخر بين الطرفين البروسي والنمساوي على نصيب كل واحد من المقاطعتين . وتوصلوا الى عقد اتفاقية جاستين في اب ١٨٥٦ ، واتفقتا فيها على ان تحكم النمسا هولشتاين وتحكم بروسيا شلزويك ، وتمنح دوقية لادنبرج هدية لملك بروسيا ، استطاع بسمارك ان يصل الى هذا الاتفاق مؤقتا وبينما كانت النمسا تعلم ان بسمارك قد ادخلها تلك الحرب كحليفة مؤقتا ، انه يوما سوف يعلن الحرب على النمسا ، لقد صدق حدس النمسا لان بسمارك كان على يقين بان الوحدة الالمانية بزعامة بروسيا لا يمكن ان تتم الا اذا اجبرت النمسا على ذلك بالقوة[٢٣].

ج- الحرب البروسية النمساوية :

لقد قرر بسمارك ان يستخدم لغة القوة مع النمسا ، عندما اخذ يمهد الطريق لتلك الحرب، وبعد ابرام معاهدة جستين ١٨٦٥ ، حول ادارة المقاطعتين. في الحقيقة لم تكن الاتفاقية الا وقتية محاولة ايجاد شكل للمستقبل بين الحلفين ، فيتخذ من هذا ذريعة للحرب ، وكان بسمارك قد احاطه علما بمواطن الضعف في النمسا وما كان فيها من انحلال في الجيش وارتباك في الاوضاع الاقتصادية وما افرزتها جراء حروبها مع ايطاليا[٢٤].

وإنّ اول عمل قام به بسمارك بعزلها عن الدول المجاورة ، فاتفق مع نابيلون الثالث[٢٥] في باريس ، على ان تلتزم فرنسا الحياد اذا وقعت الحرب بين بروسيا والنمسا وذلك مقابل الحصول على بلجيكا او لكسمبورك[٢٦] او بعض ولايات الراين ، وعقد اتفاق مع الايطاليين ، وبهذا الاتفاق ضمن الجانب الايطالي اليه في الحرب ليتمكنوا من استرداد البندقية التي كانت النمسا تسيطر عليها ، ومن ثم اتفق مع روسيا عند نشوب الثورة البولندية اتفاقاً ودياً اساسه تبادل المعاونة ، وبهذه الاتفاقات استطاع بسمارك ان يؤمن جانب تلك الدول في حالة خوضه الحروب مع النمسا وهو مطمئن[٢٧].

وفي هذه الاثناء بدا بسمارك مستعدا لخوض الحرب ، فاقنع الملك بضرورة الحرب ، متذرعاً بان النمسا سوء ادارتها لمقاطعة هولشتاين اخذت تأثر على موقف بروسيا في شلزويك[٢٨] وحدث الصدام مع النمسا بسبب تعاطف النمسا مع المطالب التي كان يرددها فردريك اوجستنبرج المطالب بعرش الدنيمارك وبعد ان سمحت النمسا بعقد اجتماع القوى في المنطقة الخاضعة لحكمها من هولشتاين ، كان الاجتماع منصب على تأييد مطالب فردريك بالعرش الدانيماركي ، في حين كانت بروسيا تدعم تأييد كرستيان التاسع الحاكم الشرعي الوحيد للدانيمارك ، فانها اعدة سماح النمسا لعقد مثل هذا الاجتماع خرقا واضحا وعملا عدائيا موجها ضد بروسيا بالذات ، ولما كان بسمارك يبحث عن سبب مقنعا لاشعال فتيل الحرب ضد النمسا فجاءت الفرصة سانحة على طبقا من ذهب لبسمارك عندما سمحت النمسا لعقد الاجتماع . وكان بسمارك ومولتكه ووزير الحربية رون على اتم الاستعداد لشن الحرب ضد النمسا ، وكانوا يعتقدون بصورة قاطعة ان مصالح بروسيا وسياستها في توحيد المانيا لا تتم الا بقيام هذه الحرب[٢٩].

وقد وبدأت تتصاعد حدة التوتر النمساوي البروسي ، حتى وصلت في اوج ذروتها عندما عرضت النمسا خلافها مع بروسيا على مجلس الاتحاد الالماني في فرانكفورت ، وفي الواقع كانت الامارات و الممالك الالمانية الممثل في المجلس كانت متحاملة على كل من النمسا وبروسيا ، بسبب اعمال كثيرة ، ورأى بسمارك ان عرض النمسا للخلاف على مجلس الاتحاد الالماني يعد تصرفا غير لائق لا ينسجم مع ما اتفق عليه في اب ١٨٣٥[٣٠].

وهذا مما دفع بروسيا الى القدوم في حزيران ١٨٦٦ اقتراحا بحل مجلس الاتحاد الالماني القائم والغاء الدستور الخاص بالاتحاد وانتخاب جمعية وطنية جديدة[٣١]، تستبعد منه النمسا والاراضي النمساوية وعندما علمت النمسا بهذا المقترح انجن جنونها ، وبادرت النمسا على الفور الى تعبئة جيش الاتحاد الالمانية ضد بروسيا ، وايدتها في ذلك الولايات بارفيا وسكسونيا وهانوفر، واعلنت بروسيا حل الاتحاد الالماني وقررت ان تحسم الامر بقواتها التي تقدمت فاحتلت اولا المناطق الموالية للنمسا شمال المانيا ، وهاجم الحلفاء الايطاليون النمسا من الجنوب في الوقت نفسه ، وقاد العمليات العسكرية البروسية مولتكه بنجاح منقطع النظير لقد بدأت الحرب في ١٤ حزيران ١٨٦٦ وحسمت النتيجة بعد ثلاثة اسابيع[٣٢] وبعد ان احتلت الجيوش البروسية معظم الأراضي النمساوية وبدأت القوات النمساوية تتقهقر، والتقى الطرفان عند سادوا[٣٣](Sadwa) في ٢تموز عام ١٨٦٦. وهناك دارت اشرس موقعة بين الجيش البروسي والنمساوي، وكان لها شانا في التاريخ، وانتصر فيها البروسيون انتصاراً كبيراً[٣٤].

ولقد وبدأ الملك وليم الاول والشعب البروسي ينتظرون تقدم الجيوش البروسية الى فينا ولكن بسمارك اثر الاعتدال في معاملته للنمسا ، ورأى ان الوحدة الالمانية التي خاض من اجلها القتال ضد النمسا لا يمكن ان تتحقق بالنصر العسكري وحده لقد رأى بسمارك اهمية كسب الولايات الالمانية الموالية للنمسا بل واهمية كسب النمسا نفسها . ولذا بدات مفاوضات الصلح مع النمسا واسرع بسمارك بتوقيع معاهدة براغ مع النمسا في ٢٣ اب ١٨٦٦ بشروط غاية في الاعتدال[٣٥] ويمكن القول بتوقيع هذه المعاهدة استطاع بسمارك ان يحقق حلمه المنشود الذي كان يراوده منذ امداً طويلا هو عزل النمسا عن الاتحاد الالماني وارجاع بعض الامارات الالمانية التي كانت خاضعة للنمسا ومنها هولشتاين . وهكذا انتهى الدور الاول لسياسة بسمارك .

د- الحرب البروسية الفرنسية :

لم يكن عجيبا ان تشعر فرنسا بان انتصار بروسيا في سادوا كان انتصارا على فرنسا نفسها ،لم يخفي نابليون الثالث المه هذا فأعلن صراحة ان فرنسا ستحول مستقبلا دون قيام اتحاد جديد بين الولايات الالمانية . وبعد الانتصارات التي حققها بسمارك في سادوا ، نهض نابليون الثالث يريد ان يتخلص مما لحق به من غلبه ويحافظ على ماء وجهه فطلب تعويضاً[٣٦] ، لوقوفه على الحياد من الحرب مع النمسا مطالبا بالوعود التي تم الاتفاق عليها مع بسمارك بان تستولي فرنسا على بلجيكا او بعض اراضي الضفة الغربية لنهر الراين وجاء رد بسمارك بالرفض القاطع عن التنازل عن قيد شبر واحد من الأراضي الألمانية ومن بعد ذلك نشر في أوربا الوثائق التي تبادلت بين الطرفين في هذا الشأن . فأثارت سخط الرأي العام الأوربي ، واستفزت الولايات الالمانية الجنوبية حتى أبرمت تحالف حربي مع بروسيا ، فضلا عن تشكيل مجلس يتولى امر توحيد المكوس في جميع أنحاء المانيا[٣٧].

ولم يكتفي نابليون الثالث بالمطالبة محاولا مرة اخرى ان يضم لفرنسا دوقية لكسمبورك ، وكانت هذه دوقية صغيرة معترف بها كدولة مستقلة ، تعتبر ملك هولندا دوقها الاعظم ، وكانت في نفس الوقت عضوا في الاتحاد الالماني وتقع تحت حماية بروسيا الا ان بسمارك رفض مرة اخرى الموافقة على اي طلب او مكاسب تعود الى فرنسا[٣٨].

لذا فقد اتخذ بسمارك من ذلك ذريعة لاثارة الراي العام الاوربي ضد فرنسا ، هذا مما قد حصل وان تصبح لكسمبورك منطقة حياد في مؤتمر عقد في لندن عام ١٨٦٧ ، وبهذا اصبح بسمارك محبط كل مخططات نابليون الثالث ، واما بشان بلجيكا فاكتفى بسمارك بنشر الوثيقة التي عملت على ضمها الى فرنسا وهذا مما يثير سخط بريطانيا ازاء فرنسا ، وكل محاولات نابليون فشلت[٣٩].

وبدأ بسمارك يهتم باتحاد شمال المانيا ويسيطر عليه وهو اقصى ما كان يمكن الوصول اليه انذاك واقصى ما يمكن ان تسلم به فرنسا في تلك الاونه . لقد ايقن بسمارك ان فرنسا لن تسمح باكثر من ذلك الا اذا اجبرت في ساحة القتال على قيام الوحدة الالمانية ، وبدأت الخلافات البروسية الفرنسية تطفو على السطح منذ انتهاء الحرب البروسية النمساوية ، وتوالت الضربات على فرنسا الواحدة تلو الاخرى فان الولايات المتحدة الامريكية اجبرت القوات الفرنسية على

الانسحاب من المكسيك ، واعدموا القيصر الذي نصبه نابليون الثالث على عرش المكسيك عام ١٨٦٣ ، ورأى نابليون مشروعاته أخذت تفشل ، وتملكه شعور بالمهانة والهزيمة ، اما السياسة الخارجية فلم يكن نصيبها من النجاح اوفر من غيرها من المواضيع الاخرى[٤٠].

ومن خلال ملاحظة الاحداث يتبين لنا بان الاوضاع التي تواجه نابليون صعبة جدا ولهذا لم تعطي الدافع في تحقيق نصراً في حربه المرتقبة مع بسمارك. نشبت الحرب بين بروسيا وفرنسا في ١٩ تموز ١٨٧٠، كان السبب المباشر لقيامها هو ما عرف باسم مشكلة العرش الاسباني[٤١] ولهذه القضية وقعا كبيرا على فرنسا ، مما دفع فرنسا للاحتجاج لدى ملك بروسيا وليم الاول ودعا الى اعلان الأمير عن التخلي عن قبوله عرش اسبانيا . ولم يكتفوا الفرنسيون بهذا الرفض ، وانما أرادوا من بروسيا ان تتعهد بالا توافق في المستقبل على ترشيح هذا الامير وعندما طلب وزير الخارجية الفرنسي من بنيدسي السفير الفرنسي في برلين ان يقابل الملك وليم الاول في مدينة ايمز . ولما رفض الملك اعطاء السفير اي وعد طلب بندسي تحديد موعد اخر لمقابلة الملك رفض وليم الاول.

ولما وردت برقية من الملك وليم الاول تخبر بسمارك بان السفير قدم مطالب ولم يوافق عليها الملك ، واخذ بسمارك البرقية محرفا نص البرقية واعطاء البرقية الى الصحافة كان يوصي بان الملك رفض اعطاء اي وعد لفرنسا ولكن الطريقة التي نشرت بها تلك الاخبار كانت جافة بحيث اصبحت تشعر الامة الفرنسية بان سفيرها قد اهين عند مقابلته ملك بروسيا وارتفعت الاصوات تطالب اعلان الحرب ، فسارعت فرنسا الى اعلان الحرب على بروسيا[٤٢] بدأت الحرب وارسلت بروسيا جيشا قوامه نصف مليون جندي بقيادة مولتكه ، يبدا هجومه على الاراضي الفرنسية ولم يكن جيش فرنسا الذي اعد لمواجهة هذا الجيش يتعدى ٢٠٠ الف جندي . الا ان الراي العام الاوربي كان يثق بالجيش الفرنسي وقدرته على صد الجيوش البروسية ، عندما بدأت الحرب عند سار بروكسن تفوق فيها الفرنسيون ، ثم توالت الهزائم عليهم في وسنسرج ، مما اضطر الفرنسيون الى الانسحاب من الالزاس واللورين[٤٣] في ٤ اب عام ١٨٧٠ ولما اخذت القوات البروسية تدق ابواب العاصمة الفرنسية واستمرت المدينة في الدفاع من ٣ ايلول ١٨٧٠ الى ٢٨ كانون الثاني ١٨٧١ وبعدها

استسلمت المدينة[٤٤] وبدأت المفاوضات لعقد معاهدة فرانكفورت في ١٠ ايار من عام ١٨٧١ ووافقت فرنسا فيها على التنازل عن الالزس واللورين لبروسيا ودفع غرامة حربية قدرها خمسة ملايين فرنك تعويضا لبروسيا[٤٥].

ونجحت خطة بسمارك الحربية كما نجحت خطته السياسية ، وفي ١٨ كانون الثاني ١٨٧١ وفي قاعة المرايا بقصر فرساي وعلى الارض الفرنسية تمت الوحدة الالمانية[٤٦].

ولذا يمكن القول لقد حقق بسمارك في هذه الحرب انتصارات عسكرية ودبلوماسية ، وكان يتطلع اليها منذ زمن بعيد هو تحقيق الوحدة الالمانية ، وبفعل كما كان يقول بالدم والحديد ستقوم الوحدة الالمانية وكما قال فعل ، وتم توحيد المانيا ومن على ارض فرنسا اعلن الوحدة الالمانية . واصبحت المانيا ذات قوة كبيرة في القارة الاوربية يحسب لها الف حساب ، بفضل زعيمها بسمارك .

و - إعلان الإمبراطورية الألمانية :

إنّ أثار تكوين الإمبراطورية الألمانية في اعقاب تلك الانتصارات مخاوف الدول الكبرى مما زاد من مخاوف الدول الأوربية من التطلعات الألمانية، ان بسمارك كان شخصية قوية أصبح حديث الدوائر والمحافل الدبلوماسية الأوربية ، وكانت في يده العديد من خيوط الدبلوماسية المعقدة[٤٧].

ولقد كان لتكوين الوحدة الألمانية على أساس تلك الانتصارات العظمى التي بدت اقرب الى المعجزات ، أثره الكبير في ان يصاب المفكرون والشعب الألماني بالغرور والتصاعد الذاتي العنصري الألماني اعد لمهلة حمل رسالة الحضارة والتقدم الى مختلف أرجاء العالم . وان يحطموا قيود الماضي الى مستقبل العالم الرائع الذي ترسمه وتخطط له الأيادي والعبقريات الألمانية ، انه اذ أذن للإمبراطورية الانكليزية ان تغيب عن قرب حسب تصورهم فقد ان للألمان ان يرثوها كما ورثت روما قرطاجنة[٤٨].

وبدخول امارات الجنوب في اتحاد المانيا الشمالي تكون اتحاد ضخم يضم الامارات الالمانية كلها ، ورأى بسمارك ان ينال ملك بروسيا لقب قيصر المانيا، ولكن ملك بروسيا وليم الاول لم يكن يرغب في ذلك ولم يكن ليرضى ان تنحني شخصية بروسيا في ظل دولة المانية واحدة ، وهذا راى بسمارك بان يتلقى التاج من أقوى أمراء الألمان جميعا وهو ملك بافاريا[٤٩].

وبموافقة الملك وليم الأول قبول التنصيب الإمبراطور لألمانيا ، وتم المبايعة من قبل الأمراء الألمان ، وتحت الوحدة الألمانية وأعلن دستور لألمانيا الموحدة في ١٦ نيسان ١٨٧١[٥٠] وأصبحت الإمبراطورية الألمانية تضم خمسا وعشرين دولة عدا (الاراضي الامبراطورية) من(الالزاس واللورين) وكل دولة لها حكومتها الخاصة واشرافها من الامور المحلية مثل التعليم والصحة العامة ، ومن بين الخمس والعشرين دولة – اربع ممالك (بروسيا وبافاريا وسكسونيا وفرتمبرك) وست غراندوقيات وخمس دوقيات وسبع امارات صغيرة وثلاث جمهوريات (مدن حرة) لا يمكن تشريع اي قانون للامبراطورية بمجموعها دون موافقة مجلس اتحادي (بندرسرات) مؤلف من الممثلين الشخصيين لحكومات الدول العديدة[٥١].

وقد اصبح الامبراطور الالماني قائدا أعلى للجيش والاسطول الالماني وممثلا للبلاد في الخارج ، وهو الذي يعلن الحرب ويعقد الصلح ويدعوا الرايخشتاغ ويحله اذا لزم الامر . وكان الرايخشتاغ الواقع برلمانا شعبيا ينتخبه الذكور من الشعب في انتخاب سري عام ومباشر وكان يتكون من ٣٩٧ عضوا وكانت سلطته تشريعية وقد اصبح بسمارك مستشارا للرايخ وجعل نصب عينيه اتباع سياسة سلمية تحفظ لالمانيا ما حصلت عليه من مكاسب . ولم ينسى ان فرنسا بعد فقدها الالزاس واللورين لن تسكت عن اثارة المتاعب لالمانيا للانتقام منها كلما سنحت لها الظروف . وايضا لم يغب عن بال بسمارك ان الدول الكبرى في اوربا قد بدأت تنظر بعين الحذر لالمانيا المنتصرة وتخشى قوتها ، ولذلك تخلى عن سياسة الحرب والتوسع لتحل محلها سياسة المحافظة على الوضع القائم واكتسب فعلا[٥٢].

لذا اصبحت بروسيا اقوى دوله واكثرها نفوذا في الإمبراطورية الألمانية، لان بروسيا هي التي صنعت الامبراطورية فيما يخص مساحة وسكان الإمبراطورية كانت بروسيا تضم نحو الثلثين بينما ضمت الدول الاخرى مجتمعه مجرد ثلث واحد ، وقد احتلت بروسيا طبعا اي – شعبها- مركزا قياديا في حكومة وإدارة الإمبراطورية .

ترأس الامبراطورية ملك بروسيا من (ال هوهنزولرن) وحمل لقب (الامبراطور الالماني) وكان له ان يعين او يقيل مستشار الامبراطورية كما يشاء. وقد جعل النظام البروسي نظاما عسكريا للامبراطورية . واعطيت

اصوات كافية لممثل ملك بروسيا في مجلس(البندسرات) لكي يتمكن من رفض اي تخفيض في الجيش او الضرائب او اي تعديل في الدستور الامبراطوري قد تقره الاكثرية في مجلس الرايخشتاغ ، وخلال هذه الفترة كان بسمارك الشخص البارز في السياسة الداخلية والسياسة الخارجية ، في السنوات الاولى لمستشاريته عمل على التدابير التي دعا اليها لتقوية وتدعيم الامبراطورية(٥٣).

ويمكن القول بفضل الوحدة الالمانية التي قادها بسمارك الى قيام الامبراطورية الفتية ، التي اصبحت منذ عام ١٨٧١ من اقوى الامبراطوريات في اوربا ، واخذت الدول تخشاها ، وبفضل سياسة بسمارك التي اتبعها مكنتها من الوصول الى هذه المكانة ، وغيره من سياسة التوسع والحرب الى سياسته السلمية .

عندما حققت المانيا وحدتها بانتصارها على فرنسا ودخول جيوشها مدينة ريس واجبار الفرنسيين على توقيع فرانكفورت عام ١٨٧١، بدأت حركة ثورية حولت الشعب الالماني الى شعب عملي يشق بقوة الحديد والنار. وكان لابد من توجيه هذه القوة الفتية الى ميادين الصناعة والتجارة ، واستطاعت الحكومة الالمانية ان تضع سياسة صناعية موحدة بعد توجيه أموال التعويضات الحربية التي حصلت عليها من فرنسا الى تمويل الصناعة ، كما استفادة من الصناعات الناجحة في إقليمي الالزاس واللورين . ومن هنا بدأت الصناعة الألمانية تجد طريقاً لها نحو الأسواق العالمية(٥٤).

وصارت المانيا غنية بمواردها الاقتصادية والتجارية وازداد حماس الشاب الألماني فأخذوا يتطلعون بدورهم الى الاستعمار الميادين الجديدة خارج بلادهم . لكن المستشار الالماني بسمارك وجد ان من الحكمة عدم تشتيت جهود شعبة في الميادين الخارجية خوفا من فرنسا التي لا تزال قوية وتتطلع الى استرداد ما ضاع منها وخشية ان تثار منه فرنسا رسم بسمارك سياسته على اساس البقاء قويا داخل القارة الاوربية ، وفي الوقت نفسه شجع فرنسا على التوجه نحو العالم الخارجي ونجحت هذه السياسة الى حين ، وتمكن بسمارك ايضا من عقد عدة تحالفات مع دول اوربا لحماية نفسه من الثار الفرنسي(٥٥)، لكن المانيا احست انه من اجل تحسين صناعتها وتطوير تجارتها ، وقدراتها على المنافسة الدولية فلابد من البحث عن مستعمرات غنية توفر لها المواد الخام التي تتطلبها الصناعات الحديثة، وفي الوقت نفسه تجد السوق التي يمكن ان تصرف

فيها هذه المنتجات وكانت القارة الافريقية هي المجال الحيوي الخصب امام طموح الالمان خصوصا بعد ان عاد الرحالة والمستكشفون ونشروا رحلاتهم في مجلدات ضخمة كشفت الكثير من كنوز القارة ومواردها ولم يكن اما المانيا سوى التحرك السريع لأخذ نصيبها من هذه المواد الإستراتيجية للصناعات الحديثة[٥٦].

وتكاثفت الجهود الالمانية لقيام مستعمرات لهم في القارة الافريقية هذا في الوقت الذي عارض فيه بسمارك هذا الاتجاه خوفا من التورط في المشكلات الدولية ، لكن امام التيار الجارف نحو الاستعمار اعلن بسمارك عن سياسته الجديدة ، وفي غضون عام واحد كون اربع مستعمرات في القارة الافريقية[٥٧].

وقد كانت هذه السياسة التي أعلنها بسمارك فجأة اجبرت بريطانيا على تغيير سياسة الحياد والعزلة امام هذه القوة الالمانية الناشئة ، وبدأت في عهد دزرائيلي[٥٨] زعيم المحافظين سياسة خارجية نشطة لكي تخرج من عزلتها ، وتعيد للشعب البريطاني مكانته على خريطة العالم السياسية وكان بسمارك يدرك هذا الشعور البريطاني ، ويحاول بقدر الامكان ارضاء البريطانين في تلك الحقبة من التنافس الاستعماري[٥٩].

وفي عام ١٨٨٣ حدث تحول مهم في السياسة الخارجية الالمانية ذلك ان اطماع بريطانيا وفرنسا في الهيمنة على افريقيا والبحار الجنوبية ، والأزمة الداخلية التي تعرضت لها الانظمة الاقتصادية الرأسمالية تركت في المانيا انطباعاً بان نهاية التوسع التجاري الحر قد اقتربت وان لابد من اتخاذ تدابير الحماية الاقتصادية على الصعيدين القومي والخارجي واتجهت الشركات الاحتكارية الالمانية الى المطالبة بمستعمرات لالمانيا في العالم ، للحصول على المواد الاولية وايجاد اسواق لتصريف منتوجاتها ولتخفيف حدة التوتر الاجتماعي في الداخل[٦٠] وأملت المانيا في عهد بسمارك ان تصبح قوة عالمية كانكلترا وتطلعت الى اعادة اقتسام المستعمرات بين الدول وحاولت الاستفادة من كل فرصة سانحة من اجل تعزيز نفوذها في العالم[٦١].

- سياسة بسمارك الخارجية تجاه فرنسا :

لقد كان الوضع الدولي منذ عام ١٨٧١ حتى عام ١٨٩٠ على الأرجح ملائما لالمانيا ، وقد استفاد من ذلك المستشار الحاذق الذي لا يعد من أصحاب المبادئ السامية فأولا عمل على اتخذ الموقف المتسامح كثيراً مع النمسا والمجر،

وكان لينا عمدا في فرض شروط الصلح على الامبراطور فرانسيس جوزف[٦٢] عام ١٨٦٦ . وبعد عام ١٨٧١ كانت الظروف الداخلية للملكية الثنائية ورغبة (ال هايسبرك) في تعويض ما خسروه لايطاليا والمانيا بإتباع سياسة توسعية في البلقان ، وهذا مما شجعها على اتباع السياسة التوسعية على تأييد السلاح الألماني القومي ودبلوماسية بسمارك الماهرة[٦٣].

وقد ادرك بسمارك الموقف ، مما دفعه على اتخذ الحيطة والحذر ، وكان على يقين تام بما يمتلك من القوة والاستعداد ، بما كان مزودا بالوسائل والأساليب الدبلوماسية لمقاومة اي هجوم تشنه فرنسا على المانيا ، كان غرض بسمارك المحافظة على الإمبراطورية الالمانية وعدم زج المانيا في حرب اخرى، ولا سيما كان في الوقت الذي يعد نفسه لحرب عدائية على بلاده ، واتبع سياسة المحافظة على السلم في اوربا . وكان على دراية تامة بان فرنسا لن تغفر لالمانيا على عملية اقتطاع الالزاس واللورين ، انها سوف تنتقم عاجلا او اجلا من المانيا ، هذا مما دفع بسمارك على عزل فرنسا[٦٤] وتجريدها من الاصدقاء ، كان بسمارك قلقا إزاء اي اتحاد بين فرنسا والنمسا وروسيا وبريطانيا يقوم ضد المانيا ، ومنذ الوهلة الاولى شرع بسمارك باتباع سياسة هدفها كسب ود وصداقة روسيا ، واخذ بالتقرب من النمسا دون ابتعاد عن روسيا ولذلك العداء القائم ما بين روسيا والنمسا والتنافس فيما بينهما في جزيرة البلقان ، وكذلك اخذ بإرضاء بريطانيا وعدم إغضابها[٦٥]. وعلى الرغم من ان كانت مهمة بسمارك في غاية الصعوبة ، فكسب صداقة روسيا والنمسا وبريطانيا في ان واحد ، عملية تكاد تكون مستحيلة بسبب تصارع مصالح تلك الدول ، واختلاف سياستها تجاه المشاكل الأوربية بصفة عامة ومشاكل البلقان بصفة خاصة[٦٦].

اتبع بسمارك سياسة سلمية في هذه الفترة ، وقد احتاط لتجنب النزاع مع بريطانيا ، وكان يعلم ان الاستعماريين البريطانيين قد استاؤا من سياسة روسيا العدوانية في اسيا ، وسياسة فرنسا العدوانية في افريقيا اكثر من استعمار المانيا المتأخر والمعتدل نوعا ما . وكان يعلم ايضا ان الكثيرين من المثقفين الانكليز اشد الاعجاب بالشعب الالماني ويمجدون (العنصر التيوتوني) الذي كون الدولتين المتزعمتين في ذلك الوقت – المانيا سيدة القارة الاوربية – وبريطانيا سيدة البحار – وكان بسمارك واثقا ان المانيا لن تخشى تحالفا بين بريطانيا وفرنسا . واما روسيا والنمسا والمجر كان الامر مختلف عما كانت علاقة مع

بريطانيا ، ولذلك لعدة اعتبارات سياسية[٦٧] وكان عزل فرنسا والسيطرة على اوربا بواسطة جيش الماني قوي ، والمحافظة على نظام حكمه الاوتقراطي ، المبادئ الهاوية لسياسته[٦٨] وبهذا العمل ساعده على كسب ود الدول الاوربية ، وعزل فرنسا عن الدول الاخرى ، ومما دعت بسمارك الى عقد احلاف ومعاهدات مع الدول الاوربية .

سياسة الأحلاف الدولية ١٨٧٢ - ١٨٩٠

أ- حلف الأباطرة الثلاث ١٨٧٢

إنَّ التنافس بين الدول ساعد على تنافسها في التسلح ، وبالتالي اتفقت بعض الدول مناواة غيرها ، متخذه من المصلحة العامة ، التي تشترك فيها مع من سواها للتعاون والتآخي ، ولذلك قام في اوربا معسكران هامان ، لكل منها مطمعه وحاجاته ، وحاول كل معسكر ربط الدول التي تدخل في نطاقه بمحالفات متينة العهود والمواثيق ، وبعد عام ١٨٧١ مباشرة ، كان الاتفاق تاما بين المانيا وروسيا ، في حين كانت فرنسا وبريطانيا على خلاف كبير اما النمسا وايطاليا فلم تستقر على شيء ثابت .

وبفضل بسمارك استطاع تقوية اواصر الصداقة بين الدول الثلاث التي تقع شرقي وسط اوربا فعقد اجتماع هام في برلين من شهر ايلول ١٨٧٢ بين الأباطرة الثلاثة (امبراطور المانيا- وقيصر روسيا- وإمبراطور النمسا والمجر)، وتمخض الاجتماع عن تأليف عصبة الاباطرة الثلاثة[٦٩] واتفق الأباطرة الثلاثة شفهيا المحافظة على الوضع الراهن بعد ١٨٧٠ ، ومقاومة الأفكار والحركات الثورية التي تهدد أنظمة هذه الدول[٧٠] وفي عام ١٨٧٣ اتفق أعضاء العصبة على التعاون لحفظ السلام ، وفي حالة التهديد بالحرب ، يجب التشاور ووضع خطط مشتركة لمجابهة الدولة التي تريد إعلان الحرب[٧١].

ولكن ظهر بعد فترة قصيرة من عقد هذه العصبة ، الى ان روسيا والنمسا كانتا على غير وفاق تام بسبب مشاكل البلقان بينهما[٧٢]، غير ان اختلاف المصالح بين النمسا وروسيا ونزاعهما في البلقان قضى على هذا الحلف ، وحاول القيصر الروسي اعلان الحرب على النمسا ، ولكن بسمارك اظهر ميله الى جانب النمسا فتراجعت روسيا واعلنت الحرب على الدولة العثمانية[٧٣].

وخلال فترة وجيزة من عام ١٨٧٥ قامت حملة صحفية في المانيا وكذلك على العلاقات البريطانية – الالمانية ، وكان يتوقعوا بان هذه الحملة مقدمة لهجوم الماني على فرنسا[٧٤]، ولكن الموقف الدولي كان قد تبدل ، ولم تعد الدول الكبرى حتى المتحالفة مع المانيا ، باي توسع لالمانيا ، وقامت بريطانيا بتوجيه النصح لبسمارك بان يعمل على تهيئة اوربا وليس على اثارة القلاقل فيها وايضا روسيا وهي عضو في حلف الاباطرة الثلاث ، طلبت من بسمارك ان يتراجع عن موقفه ولذلك بسمارك اكد لقيصر روسيا ان المانيا لا يوجد في نيتها حرب وقائية ضد فرنسا[٧٥].

وقد أثارت في عام ١٨٧٥ ثورات شعوب البلقان في صربيا ومونتجرو ضد الأتراك ودفع أنصار السلاف في روسيا قيصرهم لشن حرب على الدولة العثمانية ، وخلال الحرب الروسية العثمانية حققت روسيا انتصارات وزحف الجيش الروسي الى القسطنطينية ، ولكن النمسا وبريطانيا عارضتا مطالب روسيا لأنهما رأتا في ذلك تهديدا مباشرا لمصالح النمسا في البلقان ومصالح بريطانيا في الدولة العثمانية ، وهنا بدا دور بسمارك واضحا وعرض وساطته لكي يوفق بين الدول ، وأراد ان يكتسب او يوطد صداقة معها ، وعقد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ وحضره مندوبو بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا ورومانيا وصربيا ومونتجرو واليونان والدولة العثمانية وترأس بسمارك رئاسة المؤتمر ، وحاول بسمارك ان يقف موقفا لا يغضب اي طرف من الأطراف[٧٦].

وبعد انتهاء مؤتمر برلين خرجت روسيا حانقه على بسمارك الذي توقعت منه ان يقف الى جانبها وهذا مما عكر صفوة العلاقات بين الطرفين وصلت حد التهديد بالحرب وقد وصف قيصر روسيا المؤتمر بقوله " تحالف اوربي تحت زعامة الامير بسمارك ضد روسيا " ولكن تحالف الاباطرة الثلاث خرج من هذه الازمة دون ان يقضى عليه . فجبرت صدوع الصداقة ، وجدد التحالف عام ١٨٨١ ، وجدد مرة اخرى عام ١٨٨٤ لمدة ثلاث سنوات أخرى [٧٧] ولكن الخلاف بين النمسا وروسيا في البلقان لم يؤد الى تجديدها مرة اخرى مما دعا المانيا الى عقد معاهدة سرية مع روسيا عرفت باسم " معاهدة اعادة الضمان " ، وفيها تعهدت روسيا بالوقوف على الحياد تماما اذا ما هوجمت المانيا من فرنسا، وايضا تعهدت المانيا بالوقوف على الحياد تماما اذا ما هوجمت روسيا من النمسا[٧٨] ولكن هذا الحلف لم يجدد وكتب له النهاية عام ١٨٨٧ قبل سقوط

بسمارك بثلاث أعوام[٧٩]. كانت المعاهدة تنصب في حالة حدوث حرب بين روسيا وبريطانيا فان المانيا والنمسا تقفان على الحياد ، وايضا في حالة نشوب حرب بين المانيا وفرنسا – روسيا تلتزم الحياد او بين النمسا وايطاليا[٨٠]، ويمكن القول ان عصبة الاباطرة كانت في الحقيقية موجهة لغرض عزل فرنسا عن ربطها بأي حليف من هؤلاء ضد المانيا ، ولكن كان بسمارك متوقع مثل هذا الشيء ، كما هو حدث التقارب الروسي الفرنسي بعد مؤتمر برلين ١٨٧٨ .

ب- التحالف الثنائي بين المانيا والنمسا ١٨٧٩

يوضح شعور بسمارك نحو فرنسا سياسته الخارجية برمتها ، فقد أبصر ذلك السياسي الكبير في فرنسا عدو بلاده العنيد الخطر الذي ظل يأكل الغل قلبه ، والذي يجب عدم الركون اليه قط ، يجب أضعافه وإقصاءه عن كل الدول الأوربية المجاورة ، وقد خدمت منطقة ساحل افريقية الشمالي التي غدت في وقت سريع مطمعا للاستعمار الأوربي ، ولا سيما فرنسا بوجه الخصوص ، وخدمت هذه المنطقة أغراضه كأداة لدبلوماسيته المعادية لفرنسا[٨١].

وفي مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨ ، بعد ان وضعت الحرب اوزارها ، ظن القيصر الروسي المرتاب ، الذي سبق ان تلقى تحذير بسمارك ، انه ادرك ان المانيا قد سأمت روسيا الحليف ورجحت الكفه ضدها . وفي الرسالة التي وجهها القيصر الى الامبرطور وليم الاول في نيسان ١٨٧٩ ، ذكر ان الحرب ربما تأتي نتيجة الابتعاد عن احد الاصدقاء القدماء ، واحد اعضاء عصبة الاباطرة المهيمن بالنسبة لبسمارك[٨٢].

وفضلاً من تصاعد حدة التوتر الروسي جرى استيلاء النمسا على بعض المناطق في (نوفى بازار) ، ولكن روسيا لم تظهر غضبها وقامت بمناورات حربية في بولونيا على حدود المانيا ، ولكن القيصر لم يكتفي بهذه المناورات بل تعدى ذلك الى التهديد من مغبة سياسة بسمارك ومما يترتب على هذه السياسة ، اما بسمارك فلم يفكر قط في قطع علاقاته مع روسيا ، وكان دائما يعمل على المحافظة على العلاقات السلمية بين المانيا وروسيا ، ومع ذلك ظل بسمارك متخوفا من موقف روسيا ، ونتيجة لذلك سارع بسمارك الى توطيد علاقته مع النمسا[٨٣]. حتى لا يهدد مركز المانيا في اوربا ، وساعد بسمارك رغبة النمسا وعدم ثقتها بحلف عصبة الاباطرة ، مما دفع اندرسي[٨٤] وزير خارجية النمسا

الى عقد تحالف ثنائي مع المانيا ضد روسيا . ولكن روسيا لم تبقى مكتفة الايدي من هذا الخطر المحدق ، وعملت روسيا على مفاتحة فرنسا وايطاليا لعقد اتفاق فيما بينها[٨٥]. ولهذا الامر مما جعل بسمارك ان يسارع بعقد الاتفاقية مع النمسا، ولكن النمسا أرادت لتحصل على اكبر قدر من الفوائد التي تصب في مصالحها، وعندما علمت بضرورة بسمارك الى عقد مثل هذه المعاهد ولذلك تولت النمسا المهمة، ولما صرح اندارسي انه لا يريد الاشتراك في حرب تقع بين المانيا وفرنسا ، وهذا مما جن جنون بسمارك ، ثم اخذ الى السكينة والهدوء ، ونزل عن صلفه وكبريائه ، وذهب الى فينا ، لاستمالة اندارسي ، وبالفعل استطاع بسمارك استمالة اندراسي في فينا ، وضعت أسس الاتفاق على ما يريد اندارسي، وكان من المتعذر ان يقبلها الإمبراطور وليم الأول ، الذي كان يعطف على روسيا، لكونه تربطه بالقيصر الروسي صداقة ، واستطاع بسمارك ان يقنع الامبراطور من خلال التحركات الروسية ونواياها ، وبقدرة بسمارك تم التوقيع على هذه المعاهدة في ٧ تشرين الاول ١٨٧٩[٨٦]، وقد كانت هذه المعاهدة مجرد حلف دفاعي ، إذ نصت المادة الاولى على ان يساعد كل من الطرفين الاخر اذا هاجمته روسيا ، اما في المادة الثانية فقد اتفق الطرفان على الاحتفاظ بالحياد اذا هاجمت احداهما دولة اخرى المقصود فرنسا ، اما في حالة انضمام روسيا الى فرنسا ، فقد اتفقت كل من المانيا والنمسا ان يقفون معا في وجه هذا التحدي، ويستمر الحلف ويصبح ساري المفعول لخمس سنوات ، ومع امكان تمديده لثلاث سنوات اخرى، وقد جدد عام ١٨٨٣ وعام ١٩٠٢ وفي فترت متعاقبة واصبح يجدد تلقاء نفسه في نهاية كل ثلاث سنوات حتى قيام الحرب العالمية الاولى [٨٧].

وقد نجح اندراسي في هدفه العظيم بتجنب النمسا دخول الحرب وحدها مع فرنسا، ولكنه عجز عن الحيلولة دون ان تعلم روسيا بوجود المعاهدة قبل نهاية السنة وكانت النتيجة مرضية للنمسا في بداية الامر ، واقلعت روسيا عن سياسة التهديد[٨٨]، لقد عملت تلك المعاهدة على تقوية السلم في اوربا لسنوات عديدة ، كما انها على وجه اليقين ايضا ادخلت المانيا واوربا كلها في الحرب العالمية الاولى .

ج- التحالف الثلاثي (المانيا – النمسا – ايطاليا) ١٨٨٢

لقد حاول بسمارك لاجتذاب حليف اخر الى جانبه ، ومن خلال دهائه المنقطع النظير من ان يجمع شمل النمسا وايطاليا في صعيد واحد ، ورغم ما كان بينهما من تضارب كبير في المصالح الحيوية ، وعلى العموم كانت الرابطة بين ايطاليا واوربا الوسطى اقدم الروابط في التاريخ الاوربي ، وكانت ايطاليا القومية اساسا لانتصار المانيا القومية[٨٩]، وما ان حل عام ١٨٨١ حتى كان بسمارك امنا في اوربا ، وقد عمل على تشجيع بريطانيا وفرنسا على مشروعات التوسع فيما وراء البحار ، فاحتلت فرنسا تونس وبريطانيا احتلت مصر ، وفي حين كانت ايطاليا تتطلع منذ وقت طويل الى تونس احاطة ايطاليا علما بمقاصد فرنسا واحست ايطاليا في شيء من الحق ، انها معزولة فتوجه الى عدوها القديم النمسا والمجر ، طلبا للعون ، ولكن بسمارك اراد ان يستفيد حتى من اثارة ايطاليا وحنقها وحرص النمسا والمجر على احكام الضغط على ايطاليا ، وحصل على دعوة لألمانيا لتكون طرفا في تكتل جديد وبذلك امن دفاعا اخر ضد فرنسا[٩٠] . وقد تم توقيع المعاهدة في ٢٠ ايار ١٨٨٢ في فينا كل من ايطاليا والنمسا والمانيا، وعرفت بالتحالف الثلاثي[٩١]، وتم تجديد هذه المعاهدة عام ١٨٨٧ونصت هذه المعاهدة بشكلها الجديد على أهم النقاط التي تم الاتفاق عليها:-

أ- اذا هاجمت فرنسا ايطاليا فان النمسا والمانيا تساعدان ايطاليا .

ب- وعلى ايطاليا ان تساعد المانيا اذا هاجمتها فرنسا وليست مرتبطة بالدفاع عن النمسا.

ت- اذا اشتركت هذه الدول في الحرب مع فرنسا تساعدها دولة اخرى فان الدول الثلاث المقصود بها الدول المتحالفة بهذه المعاهدة تتحدان ضد الدولتين المعتديتين . وكانت ايطاليا تصر على ان لا تكون هذه المعاهدة موجهة ضد بريطانيا .

ج- تتعهد المانيا بمساعدة ايطاليا عند نشوب الحرب بينها وبين فرنسا في شمال افريقيا، اذا استولت فرنسا على ليبيا او مراكش ، وتتعهد النمسا ان تتشاور مع ايطاليا في حالة اقتسام الغنائم في بلاد البلقان[٩٢].

وقد كانت مدة المعاهدة خمس سنوات قابلة للتجديد ، والمعاهدة دفاعية بحته غايتها المحافظة على السلم في اوربا ، وفي الظاهر ربط هذه التحالف

وسط اوربا معا واحيا الإمبراطورية الرومانية المقدسة على أوسع نطاق يتمشى مع السياسة الخارجية[٩٣] .

ومما لاشك فيه ان المانيا استفادت من هذه المعاهدة ، لان ايطاليا قبلت مساعدتها ضد فرنسا ايضا استطاعت ايطاليا ان تحقق مكاسب لانها ترتبط بمساعدة المانيا والنمسا ، اذ كانت روسيا وحدها هي الدولة المعتدية ، والاهم من هذه كله هو دفعت ايطاليا عن نفسها كل اذى يصيبها من النمسا وبهذه المعاهدة استطاع بسمارك ان يبرهن بقدرة و رجاحة عقله ، اذ امكنه ان يدفع عن بلاده شر روسيا وفرنسا ، وفي نفس الوقت تم مصادقة الروس وكسب ود ايطاليا[٩٤].

وقد تم تقوية أواصر المحالفات التي قام بها بسمارك باتفاقيتين اخريتين قامت بهما النمسا مع الصرب و رومانيا ، وفي عام ١٨٨٣ عقدت النمسا معاهدة مع رومانيا التي اجبرت على التنازل عن جزء من بسارابيا الى روسيا في معاهدة برلين ، وتعهدت النمسا بمساعدة رومانيا اذا هوجمت من قبل دولة ثالثة دون استفزاز من جانبها كما يجب على رومانيا التفاهم مع النمسا اذا هوجمت الأخيرة جزء من أراضيها المتاخمة لرومانيا ، وقد انضمت المانيا الى هذه التحالف ، اما ايطاليا فقد انضمت اليه عام ١٨٨٨ وجددت المعاهدة الى عام ١٩١٣، وهكذا أصبحت النمسا في مركز قوي في البلقان[٩٥] . وقد ازداد الموقف اكثر خطورة بعد التطورات التي حدثت في بلغاريا ، واستياء الروس من سياسة النمسا واعتقادهم بان المانيا تعضدها ، وهنا اصبح تحالف فرنسا مع روسيا امرا وارد الوقع في عام ١٨٨٦ ، بدأ بسمارك يهتم بتجديد التحالف الثلاثي ، الذي كان على وشك الانتهاء ، كانت النتيجة المباشرة هي تجديد الحلف الذي ينتهي في ايار عام ١٨٨٧ بين ايطاليا والنمسا لكن ايطاليا لم ترغب في تجديد الحلف الاول، وانما رغبت في ادخال بعض التعديلات في قسم من مواد المعاهدة ، ولما كان الموقف الدولي حرجا ، اضطر بسمارك الى قبول التعديلات التي اشتملت على تجديد المحالفة القديمة كما هي ، عقد معاهدة جديدة بين المانيا وايطاليا، وعقد معاهدة جديدة بين النمسا وايطاليا ووقعت المعاهدتين في برلين في ٢٢ شباط ١٨٨٧[٩٦]، وكان موقف روسيا ان يكون بمثابة تهديد لبسمارك ١٨٨٧، فقد احل محل تحالف عصبة الاباطرة ترتيبا ثانيا بين روسيا والمانيا عرفت باسم معاهدة أعادة الضمان، قد وقعت في حزيران عام ١٨٨٧ ، مع بروتوكول سري،

اهم موادها هي اذا اشتبكت احد الدولتين في حرب مع دولة ثالثة ، تلزم الحياد الدولة الاخرى ، واعترفت المانيا بالنفوذ الروسي في بلغاريا[٩٧].

دور بسمارك في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ :

لم يكد يفتتح المؤتمر جلسته الاولى ، الا وحست روسيا بتقرب المانيا الى النمسا والمجر ، مما مكن اندراسي Andrassy المندوب النمساوي ان يستولي على البوسنة والهرسك . وان يديرها باسم السلطان حتى يعود اليها السكون والنظام ، وبسطت النمسا سيطرتها على الممر المعروف (بنوفى بازار) ففصلت صربيا من الجبل الاسود ، مما دعا الى سخط السلاف على حكومة النمسا والمجر[٩٨]، وفي هذا المؤتمر اخذ بسمارك على عاتقه ان يلعب دور الوسيط الأمين في توزيع املاك الدولة العثمانية ، بذلك سرُت النمسا واغضب الجانب الروسي، ومما دعا روسيا الى الخروج من عصبة الاباطرة والتوجه نحو فرنسا، لكن بسمارك لم يفرط بروسيا اطلاقاً، وظل متمسك بعلاقة مع روسيا[٩٩].

عندما عقد مؤتمر برلين كان بسمارك يترأس رئاسة المؤتمر، حضر عدد كبير من الدول المشاركة بهذا المؤتمر، كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا و رومانيا وصربيا ومونتجر واليونان والدولة العثمانية ، دامت المباحثات لعدة اسابيع ، ونجح بسمارك برغم الصعوبات العديدة من التوصل معهم الى اتفاق ، تنازلت روسيا عن الكثير من مطالبها وخرجت من الاجتماع غير راضية على بسمارك وعلى موقفه حيث كانت تريد ان يقف الى جانبها لكونها حليفة له[١٠٠].

الا ان المؤتمر اعترف باستقلال صربيا والجبل الاسود ورومانيا ومنح بلغاريا الاستقلال الداخلي ، وترك حكم الروملي الشرقي للسلطان على ان يعين واليا مسيحيا من قبله توافق عليه الدول ولما رأت روسيا ان بلغاريا انكمشت الى ثلث المساحة التي حددتها اتفاقية "سان استفانو"[١٠١]، طلب القيصر من الدول الا تسمح بإبقاء جيش الدولة العثمانية في الروملي الشرقي، الا ان ذرائيلي رفض الطلب رفضا باتاً[١٠٢].

ونلاحظ ان الدور الذي لعبه بسمارك في الدبلوماسية خلال هذا المؤتمر ، قد كسب ود النمسا والمجر في ترضيتهما وجرها الى عقد الحلف الثنائي لكي يأمن شرها وتقربها من فرنسا ، ولكن روسيا خرجت وهي حانقة على بسمارك لانها

لم تكن تتوقع وقوف بسمارك بوجه أطماع الروس في البلقان ، وعلى الرغم من أثارة غضب الروس وصولها الى حد التهديد .

لذا فإنَّ مؤتمر برلين له اهمية تاريخية ليس بما انجزه ، وانما بسبب محل انعقاده ، لا بسبب ما انجزه ، اما الان المانيا أصبحت ذات منزلة كبيرة من بين الدول الاوربية العظمى ، اما المؤتمر فقد كشف عن حقيقة وهي عن ميلاد ميزان متعادل للقوى الجديد مرتكزا على المانيا ، ولم يتوقع احد من رجال السياسة في برلين ان تدوم التسوية طويلا[١٠٣].

وقد كانت التطورات تثبت لبسمارك ان المشكلة البلقانية لا يمكن ان تبقيه صديقا للمتنافسين النمسا وروسيا ، وكان من وجهة نظره والذي يمكن الاعتماد عليه هو الإمبراطورية النمساوية والمجر وليس روسيا المتقلبة[١٠٤]. ولما توفي الإمبراطور وليم الاول عام ١٨٨٨ وخلفه ابنه المريض فريدريك الثالث ، ولم يستمر وقت طويل حتى توفي بعد مدة حكم لم تتجاوز ٩٩ يوما . وبموت فريدريك مات كل الامال الاحرار في حكومة تحررية تقدمية .

وقد خلف الإمبراطور وليم الثاني (١٨٨٨-١٩١٨) وكان صغير السن، وغير راغب في السير خلف بسمارك[١٠٥]، وكان شابا يبلغ التاسعة والعشرين من عمره، في ذلك الوقت ويعتنق الآراء نفسها في ملوكية الحق الالهي ، وكان مولع بالروح العسكرية التي تميز بها وليم الأول ولكن مع غرور وتهور، وطلاقة فتنت بعض الناس ، ولكنها كانت مضايقة لبسمارك الذي كان آنذاك رجلا كبيرا بالسن وقد تعود على معالجة زمام الحكم دون أرشاد ونصيحة من ملكه ، من وجه نظر وليم الثاني سرعان ما صار الأمر ، كما عبر هو عنه بقوله: "هل يجب ان تحكم أسرة هوهنزولرن او أسرة بسمارك "[١٠٦].

وفي آذار ١٨٩٠ نشب الخلاف بين الإمبراطور وليم الثاني وبسمارك حول بعض الموضوعات الداخلية ، ومن ثم اتسع الخلاف بينهما بشأن السياسة الخارجية ، لان بسمارك كان يريد تجديد الاتفاقية المعقودة مع روسيا لكي يأمن من جانبها ويمنع وقوع صدام بينهما وبين النمسا في البلقان ، وايضا ليتجنب اي تقارب بين روسيا وفرنسا ، واما وليم الثاني فلم يكن واثقا من جانب روسيا ، وبدأت الخلافات بين القيصر وبسارك تزداد حتى اضطر بسمارك الى تقديم استقالته و قبلها الامبراطور يوم ٢٠ آذار ١٨٩٠ وكانت استقالة بسمارك في ظروف كانت أوربا فيها أحوج ما تكون الى الدبلوماسية [١٠٧].

وبعد استقالته رجع بسمارك الى مزرعته قرب هامبورج رافضا لقبا شرفيا انعم عليه القيصر ، وهو دوق لاونبرج ، كان رفض بسمارك هذا اللقب لأنه كان متحاملا على الإمبراطور وايضا لكونه لا يتناسب مع مكانة بسمارك ، وفضل بسمارك ان يبقى بعيدا من السياسة ومشاكلها وظل في خلوته حتى موته يوم ٣٠ حزيران ١٨٩٨ يكتب في كتابه السياسي " افكار وذكريات" وراى بسمارك في حياته خليفته المستشار كابريفي وهو يتخبط في سياسته بدرجه جعلت الإمبراطور بنفسه يسير امور الدولة وسياستها[١٠٨].

وعندما كان بسمارك مسيطرا بصورة كلية ، وبفقده أنصاره وأصبح مواجها افكار جديدة ، فكان عزله امرا طبيعيا ، ولكن التراث الذي خلفه بسمارك ظل مؤثرا تأثيراً كبيراً في تطور المانيا من بعده خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية[١٠٩].

ويمكن القول ان السياسة التي انتهجها بسمارك بين عامي ١٨٧٠ و١٨٩٠ ، ان هذه السياسة كانت متركزة في الدرجة الاولى من فكرة كبح جماح فرنسا ، وتمكين المانيا من تنمية ممتلكتها الجديدة و مواردها الضخمة دون ان يزاحمها احد ، ولقد حاول بسمارك باكتساب الأصدقاء و التقرب الى الحلفاء دون الابتعاد حتى يضمن سياسة سليمة ، ويخلق نوعا من الاستقرار في اوربا ، ولا سيما بعد ان استطاع من تكوين إمبراطورية قوية ، ولقد شجع بريطانيا وايطاليا على منافسه فرنسا مع مجال التوسع الاستعماري حتى يحول اهتمامها عن الالزاس واللورين ، وقد كفل الامن ضد فرنسا بالتحالف مع ايطاليا ، وضد روسيا بالتحالف مع النمسا .

الخاتمة

تعد السياسة الخارجية التي تبناها بسمارك بين عامي ١٨٧١- ١٨٩٠ من أهم المراحل التاريخية التي مرت بها الإمبراطورية الألمانية بكل مراحلها والتي شهدت عدة أحداث وتطورات في السياسة الدولية والتي من خلالها يمكن أيجاز أهم النتائج التي تم التوصل اليها .

وتبين لنا من خلال سير الاحداث التاريخية بان بسمارك انتهج سياسة خارجية قائمة على السلم وكسب ود الاخرين، هذه السياسة التي تبناها بعد عام ١٨٧١ ، بعد ان استطاع من تحقيق الانتصارات المتوالية في حروبه التي خاضها.

ركز بسمارك جهوده على عزل فرنسا عن الحضيرة الدولية لانه كان يعتقد يوما بان فرنسا لا تغفر لالمانيا على اقتطاعها الالزاس واللورين ، وانتهج سياسة سلمية بعيده عن التوسع العسكري ، واقام بعقد الاحلاف والمعاهدات مع النمسا والمجر و روسيا لغرض عدم عقد اي اتفاق مع فرنسا ، كانت فاتحتها عصبة الاباطرة الثلاثة عام ١٨٧٢ ، ومن بعدها التحالف الثنائي مع النمسا ١٨٧٩ ، التحالف الثلاثي التي دخلت ايطاليا في هذا التحالف ، وكانت هذه الاحلاف مركزة على ابعاد فرنسا ، والمحافظة على امن المانيا من جانب فرنسا ، كان دبلوماسي حاذقا استطاع ان يخلق نوعا من الاستقرار في اوربا بعد عقد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ الذي تزعم رئاسته ، لغرض عدم قيام حرب بين روسيا والنمسا الحليفان القويان له ، ايضا استطاع ان يبعد فرنسا عن تفكيرها في خوض حرب داخل اوربا ، فوجها الى الاستعمار الخارجي واحتلال تونس التي كانت القشة التي قسمت ظهر البعير في علاقتها مع ايطاليا ، لذلك اتجهت ايطاليا الى المانيا والنمسا في عقد الاحلاف .

طيلة هذه الفترة استطاع بسمارك ان يسيطر على كل مجاري السياسة الخارجية في المانيا لان الامبراطور وليم الاول كان من اشد انصاره و مؤيديه .

الهـوامـش

(١) Encyclopedia Britannica , vol .٣,chicago ,pp .٧١٤-٧٢٢.

(٢) محمد قاسم وحسين حسني ، تاريخ القرن التاسع عشر ، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف ، ١٩٨٣، ص١٦٧؛ روجر باركنس ، موسوعة الحرب الحديثة، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، ج١، بغداد، دار المأمون، ١٩٩٠، ص١٠٤.

(٣) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ اوربا الحديث ١٨٠٠- ١٩١٨ ، القاهرة، مطبعة النهضة الجديدة، (د.ت) ، ص١٥٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص١٥٣.

(٥)Dittrich , jochen , Bismarck , frankrcich un die spanishche threnkandida tur der hohensollern , germany , ١٩٦٢ pp ٤-٩ .

(٦) وليم الاول : (١٧٩٧-١٨٨٨) (William) وصي على عرش بروسيا(١٨٥٨-١٨٦١)، وملك بروسي(١٨٦١-١٨٨٨) وإمبراطور المانيا (١٨٧١-١٨٨٨) . ولد بالقرب من بوتسدام وهو الابن الثاني لملك بروسيا فردريك وليام الثالث(١٧٧٠-١٨٤٠) عين بسمارك رئيس وزراء بروسيا لكي يكون لدية رجل قوي يستطيع إرهاب النواب البرلمانيين الا انه ظل ينتقد سياسة بسمارك الخارجية ، للمزيد ينظر الان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥ ، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين ، مراجعة محمد مظفر الادهمي ، ج٢ ، بغداد ، دار المأمون للترجمة والنشر ، ١٩٩٢ ، ص٣٩٠-٣٩١ .

(٧) محمد قاسم واخرون ، المصدر السابق ، ص١٦٨.

(٨) علي حيدر سليمان ، تاريخ اوربا الحديثة ، ط٣، بغداد، مطبعة دنكور الحديثة ، ص٣٣٣ .

(٩) الريخشتاغ : هو مجلس النواب فقد كان يضم حوالي ٤٠٠ عضوا ينتخبون مدة خمسة سنوات بالتصويت العام من قبل الذكور ، وللامبراطور الحق في حله بعد موافقة البندسرات في اي وقت يشاء . وهذا المجلس اقل قوة من مجلس العموم البريطاني او من مجلس النواب الامريكي .

اما البندسرات : هو مجلس الاتحاد اذ كانت الحكومات المختلفة ترسل مندوبين عنها ، وكان هذا المجلس اهم بكثير من مجالس الشيوخ في اوربا او " السنات" في امريكا انه كان مصدر القوانين اما رئيسه فلم يكن سوى المستشار الامبراطوري وهو اكبر موظف في الحكومة الالمانية . وقد احتفظت بروسيا بنفوذها في هذا المجلس بحصول ملكها على اصوات كافية لرد اي قرار اراد ، ينظر : علي حيدر سليمان ، المصدر السابق ، ص٣٦٦.

(١٠) عبد العزيز سليمان نوار ، اوربا من الحرب البروسية الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٢ ، ص٦٢ .
(١١) محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص١٥٤.
(١٢) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص٦٢-٦٣ .
(١٣) صلاح العقاد ، دراسة مقارنه للحركات القومية في المانيا – ايطاليا – الولايات المتحدة – تركيا ، القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٧ ، ص٥٠.
(١٤) المصدر نفسه ، ص٥١ .
(١٥) شلزويك وهولشتاين : هي المنطقة التي تتألف من الجزء الجنوبي من شبه جزيرة جوتلاند (Juttland peninsula) والتي تربط الدنمارك بـــ بروسيا . كانت الدوقيات قد اتحدت منذ العصور الوسطى وعلى راسها ملك الدنمارك بصفته دوقا عليها ، وعلى اية حال كان تقريبا اغلب هولشتاين المانيا ، كذلك كانت شلزويك جزئيا . اصبحت هولشتاين عضوا في الكونفدرالية الالمانية عام ١٨١٥، ومن خلال معاهدة براغ اب عام ١٨٦٦ وضعت شلزويك – هولشتاين تحت حكم بروسيا ، واشترطت معاهدة فرساي لعام ١٩١٩ اجراء استفتاء في شمال شاليسويغ حيث يتواجد قسم كبير من السكان الدنماركين . ونتيجة لذلك ادمجت المنطقة شمالي فلسنبرغ فيورد بالدنمارك في تموز ١٩٢٠ وظلت شلزويك – هولشتاين ضمن المانيا . ينظر: بالمر، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٦١ – ٢٦٢.
(١٦) تيلر ، الصراع على السيادة في اوربا ١٨٤٨-١٩١٨ ، ترجمة كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز ، مراجعة عبد الوهاب العدوان ، جامعة الموصل ، ١٩٨٠ ، ص١٨١.
(١٧) محمد قاسم واخرون ، المصدر السابق ، ص١٦٨.
(١٨) محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص١٥٦.
(١٩) وقد تضمن المؤتمر عدة قرارات بخصوص هذه المشكلة ، قد وضعت شلزويك وهولشتاين في اتحاد شخص مع الدنيمارك بشرط الا تضمهما الى اراضيها ، وايضا قرر المؤتمر ان يخلف ملك الدنيمارك الحالي كرستيان لان ملك الدنيمارك لم يكن له وريثا شرعيا ونصت مادة اخرى من المعاهدة على ان هولشتاين عضوا بالاتحاد الالماني ، ينظر : محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص١٥٧.
(٢٠) علي حيدر سليمان ، المصدر السابق ، ص٣٣٥ .
(٢١) محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص١٥٩ .
(٢٢) روجر باركنسن ، المصدر السابق ، ص١٠٥.
(٢٤) محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص١٦٠-١٦١ .
(٢٤) علي حيدر سليمان ، المصدر السابق ، ص٣٣٥.
(٢٥) نابليون الثالث : شارل لويس نابليون بونابرت ولد في ٢٠ نيسان ١٨٠٨ في باريس ، وهو ابن اخ الامبراطور نابليون الاول ، اصبح رئيساً للجمهورية من(١٨٤٨-١٨٥٢)

وامبراطورا لفرنسا من (١٨٥٢-١٨٧٠) قاد بلاده خلال عقود من الازدهار تحت حكومة مستبدة ، واحيا تقدمها في اوربا لكن قادها في النهاية الى الاندحار في الحرب الروسية – الفرنسية (١٨٧٠-١٨٧١) ، توفي في ٩ حزيران ١٨٧٣ ، ينظر : Encylopedia Britannica,vol. ٨,p. ٩٥٠ .

(٢٦) لوكسمبورغ (Luxemburg) : غراندوقية مستقلة تقرب مساحتها من ٦٠٠٠ ميل مربع تقع في المانيا وفرنسا وبلجيكا . كانت لوكسمبورغ جزاءاً من الإمبراطورية الرومانية المقدسة حتى ظهور الغزوات النابليونية وفي عام ١٨١٥ نصب ملك هولندا دوقا على اللوكسمبورغ تعويضا عن خسارته ولاية ناسو (Nassau) التي أصبحت تعرف باسم بروسيا . غزا الالمان لوكسمبورغ عام ١٩١٤ وعام ١٩٤٠ ثم ضمت رسميا الى المانيا منذ عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٥ ، ومنذ الحرب العالمية الأولى كان لدى اللوكسمبورغ روابط اقتصادية متينة مع بلجيكا. ينظر: بالمر، المصدر السابق ج٢، ص٦٥ .

(٢٧) محمد قاسم وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٦٩ .

(٢٨) علي حيدر سليمان ، المصدر السابق ، ص٣٣٦ .

(٢٩) محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص١٦٣ .

(٣٠) وما تضمن الاتفاق في حالة نشوب اي خلاف بشان المقاطعتين المقصود بها .

(٣١) Dittrich ,jochen ,optic ,pp٥٩-١٢٣.

(٣٢) محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص١٦٥-١٦٦ .

(٣٣) معركة سادوا ٣ تموز ١٨٦٦ : وتعرف باسم كونكرانز (Koniggratz) وهي معركة رئيسية في الحرب النمساوية البروسية ، وقعت في بوهيما (Bohemia) على بعد خمسة وستين ميلا من براغ (Prague) اندحر النمساوين الذين كانوا تحت قيادة بينديكت ، اندحاراً على نحو فاصل على يد قوة بروسية كانت اسميا تحت قيادة الملك وليام الاول ولكنها كانت عمليا بقيادة مولنكه (moltke)، ينظر : الان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥ ، ترجمة ، سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين ، مراجعة محمد مظفر الادهمي ، ج٢ ، بغداد ، دار المأمون للترجمة والنشر ، ١٩٩٢ ، ص٢٥٣ .

(٣٤) محمد قاسم واخرون ، المصدر السابق ، ص١٧٠ .

(٣٥) وبمقتضى معاهدة براغ فلم ياخذ من النمسا سوى البندقية ، وارجاعها الى ايطاليا مكافئة لمعاونتها ، وابقى للنمسا حدودها ولكنه اشترط على النمسا الا تطالب باي نصيب الولايات الالمانية ، وتخلي النمسا لبروسيا عن زعامة المماليك والامارت الالمانية وايضا تقرر تشكيل اتحاد المانيا الشمالية ، وكذلك شلزويك وهولشتاين تذهب الى بروسيا . ينظر

:Herbert.A. simon , Notes on the observation and measurement of political power , the journal of politics ,١٥ ,١٩٥٣.

(٣٦) علي حيدر سليمان ، المصدر السابق ، ص٣٣٩ ٠

(٣٧) محمد قاسم ، المصدر السابق ص١٧١.

(٣٨) Moltke , Helmuth , france – German War of ١٨٧٠ -١٨٧١ Translation by Archibald Forbes , London , ١٩٠٧ , pp ١٨-٥١.

(٣٩) علي حيدر سليمان ، المصدر السابق ، ص٣٣٩ ٠

(٤٠) Moltke , Helmuth opcit , pp ٥٣-٦٦.

(٤١) وبعد قيام ثورة ١٨٥٤ ضد الملكة وحاول الجيش والاسطول اجبار الملكة على القرار في ٣٠ ايلول ١٨٦٨ اعلن الثوار انهاء حكمها على البلاد ، وان الامراء كانوا يترددون في قبول عرش اسبانيا لما سادها من فوضى وثورات ، ورشح الاسبان لعرش بلادهم الامير ليوبولد وهو امير من امراء عائلة الهوهنزولرن ، وهو من اقرباء وليم الاول ، وهذا الترشيح اثارت حفيظة فرنسا .

(٤٢) للمزيد من المعلومات : ينظر : تلير ، المصدر السابق ، ص٢٤٧ ، محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص ١٧٣-١٧٤ .

(٤٣) الالزاس واللورين (Alsace – Lorrino) : مقاطعتان في شمال – شرقي فرنسا ارتبط اسماهما بعد ان ضمها بسمارك الى أراضيه عام ١٨٧١ . وكانت فرنسا قد احتلت معظم اراضي الالزاس عام ١٦٤٨ (بموجب معاهدة سلام وستفاليا) ومن ثم قامت بضم عشر مما كان يسمى بـــ(المدن الحرة) عام ١٦٨١ . اما مقاطعة اللورين اضيفت رسميا الى اراضي المملكة الفرنسية عام ١٧٦٦ . وبعد انتهاء الحرب الفرنسية – البروسية وتوقيع معاهدة فرانكفورت عام ١٨٧١ تخلت فرنسا عن المقاطعتين لصالح المانيا ، باستثناء الجزء من مقاطعة اللورين الذي يحيط بمنطقة بلفورت . للمزيد : ينظر: بالمر، المصدر السابق، ج١، ص٤٧-٤٨ .

(٤٤) ينظر : هـــ . ج . ويلز ، موجز تاريخ العالم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة محمد مأمون نجا ، القاهرة، مكتبة الهضبة المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ٣٣٢ ، محمد قاسم وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٥٩ .

(٤٥) روجر باركنسن ، المصدر السابق ، ص١٠٦ ، تايلر ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩.

(٤٦) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ المانيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٨٨ .

(٤٧) عبد العزيز سليمان نوار ، اوربا من الحرب البروسية الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢ ، ص١٠٩ .

(٤٨) عبد الفتاح حين ابو عليه واسماعيل ياغي ، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ، الرياض، دار المريخ ، ١٩٧٩ ، ص٤١٥.

(٤٩) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ المانيا ، ص ٨٨.

(٥٠) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ اوربا الحديث ، ص١٨٧ .
(٥١) كارلتون هيز ، التاريخ الاوربي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤ ، ترجمة فاضل حسين ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧ ، ص٣٧٤ .
(٥٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ المانيا ، ص ٨٩.
(٥٣) كارلتون ، المصدر السابق ، ص٣٧٤-٣٧٥.
(٥٤) زاهر رياض ، استعمار افريقيا ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص١٣٠ .
(٥٥) هربرت فيشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث ، ترجمة ، احمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص٣٧٦ .
(٥٦) Tull.G . and p.Bulwer ,Britin and the worid in the ٢٠ th century , London , ١٩٧١ , p.٥.
(٥٧) Ibid , p.٥.
(٥٨) دزرائيلي : سياسي بريطاني ، ولد في لندن في ٢١ كانون الاول ١٨٠٤ من اب ايطالي يهودي ، اصبح في عام ١٨٣٧ عضو حزب المحافظين في مجلس العموم ، صار وزيرا للخزانة ، تراس الوزارة لمرتين عام (١٨٧٤-١٨٨٠) منح عام ١٨٧٦ لقب ايرل ، فصار يعرف لورد بيكونسفيلد(Beacon sfield) الف العديد من الروايات والكتيبان السياسية . توفي بتاريخ ١٩ نيسان ١٨٨١ ، وله من العمر سبعه وسبعون عاماً . ينظر : Encyclopedia Britannica , vol .٣ pp.٣١٦-٣٣٠
(٥٩) محمد مصطفى صفوت ، مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثاره في البلاد العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص٨ .
(٦٠) Weber ,max , Der Nationalstaat und die volkswirtschafts Akademische Antrittsrede : ((Gesam melte politische schriften Hrsg.v.j. winkelman Tnebingen, ١٩٥٨ , pp. ٢٢-٢٣.
(٦١) Wattig Mohamed mostafa , Analyse des Nationales Jnteresses am Beispiel der Deutsch – Arabisch Beziehung , studienverlag Dr,N. Brockmeyer , bochum , ١٩٧٦ , p. ٤٩.
(٦٢) فرانسيس جوزيف: (١٨٤٨- ١٩١٦) Francis Josef اعتلى العرش بعد تنازل عمه فرديناند خلال ثورة ١٨٤٨ ، وتوج ملكا على هنغاريا عام ١٨٦٧ . وقد وصف فرانسيس جوزيف نفسه في احدى المناسبات بـــ(اخر ملوك المدرسة القديمة) وقد تشكلت آراؤه السياسية خلال الاربعة اعوام الاولى من تسلمه مقاليد الحكم وذلك في عهد حكومة رئيس الوزراء الامير شوار زينبورغ الاستبدادية . وفي عام ١٨٦٧ اعدم شقيقة ماكسمليان امبراطور المكسيك ، وانتحر ابنه رودولف في ما يرلنغ عام ١٨٨٩ ، اما زوجته اليزابيث فقد تم اغتيالها على يد فوضوي في مدينة جنيف عام ١٨٩٨ ، كما اغتيل

ابن اخيه في سيرابيفو عام ١٩١٤ وقد بقي فرانسيس جوزيف مستلما زمام الحكم مدة تفوق عهد اي اوربي . وخلفه على العرش ابن اخيه تشارلس Charlcs ، ينظر : بالمر، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٠١-٣٠٢ .

(٦٣) كارلتون هيز ، المصدر السابق ، ص٣٧٦ .

(٦٤) محمد محمد صالح وياسين عبد الكريم واخرون ، تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٣٠٨-٣٠٩ .

(٦٥) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ المانيا ، ص٨٩ .

(٦٦) الدسوقي ، تاريخ اوربا الحديث ، ص١٧٩

(٦٧) كارلتون هيز ، المصدر السابق ، ص٣٧٧

(٦٨) هـــ.أ . ل . فشر ، تاريخ اوربا العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠ ، ترجمة احمد نجيب هاشم و وديع الضبع ، القاهرة ، دار المعارف الطبعة ٤، ١٩٦٤ ، ص٣٨٥ .

(٦٩) محمد عبد الرحيم مصطفى وكامل جرجيس ، أوربا المعاصرة من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٩٣٩ ، القاهرة ، المطبعة الاميرية، ١٩٤٩ ، ص١٨٠-١٨١.

(٧٠) محمد محمد صالح وآخرون ، المصدر السابق ، ص٣٠٩ .

(٧١) كارلتون هيز ، المصدر السابق ، ص٣٧٨.

(٧٢) محمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٨١ .

(٧٣) محمد محمد صالح واخرون ، المصدر السابق ، ص٣٠٩ .

(٧٤) كارلتون هيز ، المصدر السابق ، ص٣٧٨ .

(٧٥) عبد الفتاح حسن ابو عليه وآخرون ، المصدر السابق ، ص٤٢١.

(٧٦) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ المانيا ، ص٩٠ .

(٧٧) فشر ، المصدر السابق ، ص٣٨٩ ، بيير رنوفان ، تاريخ العلاقات الدولية-١٩١٤ ، القاهرة ، دار المعارف، (د- ت) ص٥٨٣ .

(٧٨) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ المانيا ، ص٩١ .

(٧٩) جرانت وهارولد تمبرلي ، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج٢ ، القاهرة ، سجل العرب، ١٩٧٨ ، ص٥٦ .

(٨٠) محمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٨١ .

(٨١) فشر : المصدر السابق، ص٣٨٨-٣٨٩.

(٨٢) جرانت وهارولد تمبرلي، المصدر السابق ، ص٥٥ .

(٨٣) عمر عبد العزيز عمر، اوربا ١٨١٥-١٩١٩ ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠، ص٣٠٧ .

(٨٤) الكونت غيولا اندراسي (١٨٢٣ -١٨٩٠) Andrassy .Gyula count من سلالة عائلة مجرية عريقه النسب . اصبح ذا ميول قومية متطرفة وشارك في الصراع الفاشل من اجل استقلال المجر (خلال عامي ١٨٤٨ -١٨٤٩) ونفي اثر ذلك ثماني سنوات . ولدى عودته اصبح من الساسة المعتدلين وكان من انصار دياك Deak خلال مفاوضات اوسغلايخ. واصبح الكونت اول رئيس وزراء لدولة المجر ما بين ١٨٦٧-١٨٧١ . واصبح وزير لخارجية المملكة النمساوية – الهنغارية للفترة ما بين ١٨٧١-١٨٧٩ . ومن اهم انجازاته اعادة فرض السيطرة الملكية على غرب البلقان اضافة الى تطوير العلاقات مع المانيا. وترأس الكونت الوفد النمساوي –الهنغاري الى كونغرس برلين . اما ابنه(الذي حمل ذات الاسم) فقد كان اخر وزير للخارجية في عهد المملكة وذلك في شهر تشرين الأول ١٩١١. ينظر : بالمر ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٣ .

(٨٥) عمر عبد العزيز عمر ، المصدر السابق ، ص٢٠٧.

(٨٦) محمد عبد الرحيم مصطفى واخرون ، المصدر السابق ، ص١٨٢ .

(٨٧) مقتبس من عمر عبد العزيز عمر ، المصدر السابق ، ص٣٠٨ .

(٨٨) المصدر نفسه ، ص٣١١ .

(٨٩) المصدر نفسه ، ص٣١٢ .

(٩٠) جرانت وهارولد تمبرلي ، المصدر السابق ، ص٥٨.

(٩١) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ اوربا الحديث ، ص١٨٤ ، بيبر رنوفان ، المصدر السابق ، ص٥٩١ .

(٩٢) للمزيد من المعلومات عن بنود المعاهدة ينظر : عمر عبد العزيز ، المصدر السابق ، ص٣١٤-٣١٦.

(٩٣) المصدر نفسه ، ص٣١٧ .

(٩٤) محمد عبد الرحيم مصطفى واخرون ، المصدر السابق ، ص١٨٤ .

(٩٥) عمر عبد العزيز عمر ، المصدر السابق ، ص٣١٨ .

(٩٦) المصدر نفسه ، ص٣٢٢ .

(٩٧) جرانت وهارولد تمبرلي ، المصدر السابق ، ص٦٠ .

(٩٨) محمد عبد الرحيم مصطفى واخرون ، المصدر السابق ، ص٧٦ .

(٩٩) كارلتون هيز ، المصدر السابق ، ص٣٧٨.

(١٠٠) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ المانيا ، ص٩٠ .

(١٠١) معاهدة سان ستيفانو : في الثالث من اذار عام ١٨٧٨ اسدل الستار على الحرب الروسية – التركية (١٨٧٧- ١٨٧٨) التي حرضت على نشوبها حركة البانسلافية .

خلقت المعاهدة دولة بلغاريا الكبيرة ذات الحكم الذاتي التي ضمت مقدونيا ومنفذا على بحر ايجه . واعطيت ايضا روسيا مكاسب كبيرة في القوقاز ، وسعت مساحة الصرب ومونتنجر واكدت استقلال الصرب ومونتنجر ورومانيا وجعلت تركيا مسؤولة عن دفع تعويضات كبيرة . أثارت المعاهدة معارضة النمساويين (الذين ارتاعو من المكاسب البلغارية في غرب البلقان) والبريطانيين(الذين اعتقدوا ان بلغاريا ستصبح دولة تابعة لتعطي روسيا طريقا بريا الى البحر الابيض المتوسط) حل مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ تسوية ثانية محل معاهدة سان ستيفانو وكان وقعها اقل ايجابية لدى السلاف تركت سان ستيفانو أرثاً من النزاعات في البلقان وحاولت الحكومات البلغارية المتعاقبة حتى عام ١٩٤١ ان تحقق الحدود التي وعدت بها المعاهدة . ينظر : بالمر ، المصدر السابق ، ج٢، ص٢٥٨-٢٥٩.

(١٠٢) محمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون ، المصدر السابق ، ص٧٦ .
(١٠٣) تلير ، المصدر السابق ، ص٢٩٨-٢٩٩ .
(١٠٤) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص١١٤ .
(١٠٥) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ اوربا الحديث ، ص٩٧ .
(١٠٦) كارلتون هيز ، المصدر السابق ، ص٣٨٨ .
(١٠٧) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ اوربا الحديث ، المصدر السابق ، ص١٨٥ .
(١٠٨) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ المانيا ، المصدر السابق ، ص٩٧ .
(١٠٩) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .